ربطاً محكماً، باقتصادهم، جعلها تعتمد، الى حد كبير، على ما ينتجه من بضائع وسلع في الوقت الذي قادت عملية زج عشرات آلاف العمال في المشاريع والمعامل والمصانع والمزارع الاسرائيلية الى اعتماد عشرات آلاف الأسر الفلسطينية على دخول ابنائها ومعيليها العاملين ضمن هذا الجيش العمالي الكبير. وثمة اعتقاد بأن ضعف القطاعات المنتجة في الضفة والقطاع، على الرغم من الالحاح في دعوات قيادة الانتفاضة الى دعم الاقتصاد المنزلي، يقلل من قدرة هذه القطاعات على الصمود في الاضراب والمقاطعة، اعتماداً على الامكانات الذاتية للمناطق المحتلة. وتطرح هذه الحقيقة الاهمية الحاسمة للدعم المستمر المرسل من الخارج والذي يتحمل العبء الرئيس فيه م.ت.ف. في دعم صمود سكان المناطق المحتلة وتحديد قدرتهم على الاستمرار. فالتحدي الكبير الذي تواجهه الانتفاضة، حالياً، يكمن في استمرار العطاء من أبناء الضفة والقطاع، مع بناء أسس الصمود داخلياً، من جهة، وضمان الدعم المستمر من م.ت.ف. والدول العربية، من جهة أخرى. أما الشرط الثاني لتأمين نجاح العصيان المدني الشامل، فيتعلق بوجود قيادة موحدة متماسكة ديناميكية تستطيع الاستفادة، الى الحد الاقصى، من امكانات الناس وجهودهم، وتعمل على ايجاد حلول لمشاكل الناس اليومية. فليس من المعقول، مثلاً، الطلب من العمال مقاطعة اسرائيل تماماً، بينما اسباب تأمين العيش المقابلة لهم غير متوفرة.

*

* *

نستخلص مما تقدم ان العصيان المدني الشامل ليس ممكناً في الظروف والمعطيات القائمة حالياً في الضفة الغربية وقطاع غزة. غير ان نجاحه ممكن، اذا ما تم بناء شروط هذا النجاح بتغيير المعطيات في اتجاه العصيان كهدف تكتيكي. ومعنى ذلك اننا ازاء محاولة، لا بد منها، لـ «ترشيد» الانتفاضة، بتنظيم عملية قراءة لمعطياتها ونتائجها ونواقصها في الظروف الراهنة، لاعادة جدولة الاهداف التي طرحتها قيادتها منذ اندلاع الانتفاضة في التاسع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧. فقد توجهت قيادة الانتفاضة نحو تحقيق عدد من الاهداف دفعة واحدة. وعلى الرغم من واقعية هذه الاهداف، وخصوصاً المطالب المتعلقة باطلاق السجناء، ورفع الحصار عن المخيمات، وخروج الجيش الاسرائيلي من شوارع المدن والقرى الرئيسة والمخيمات وغيرها، الا ان القيادة المحلية للانتفاضة لم تتمكن من انجاز أي منها حتى الآن، ليس بسبب طبيعة الاهداف ذاتها، ولا بسبب تعنّت سلطات الاحتلال الاسرائيلي فحسب (فهذا عامل قائم حتى الآن)، وانما، ايضاً، بسبب «تزاحم» هذه الاهداف، وتداخلها، والرغبة في تحقيق التكتيكي منها مع الاستراتيجي، القريب منها والبعيد، الممكن منها وما لا تتوفر امكانات تحقيقه. ولتوضيح ذلك، نقول ان قراءة الاهداف المعلنة للانتفاضة، في تسلسلها الزمني، لا تثير أية اشكالية تتعلق بالامكانية والواقع؛ لكن تزاحمها وتتاليها في مجموعات متلاحقة، خلال فترة زمنية قصيرة، جعلها تبدو وكأنها تقفز نحو الهدف الاستراتيجي لتحله بديلاً من مجموع الاهداف الصغيرة التي لم يجر تحقيقها، بدلاً من ان يكون وعاءً لها، وتكون هي مكوناته الجزئية والطرق الفرعية الموصلة اليه. وهكذا أصبح هدف الاستقلال وبناء الدولة المستقلة مطروحاً للتحقيق المباشر، عند البعض، سوية مع اهداف اطلاق سراح السجناء والمعتقلين واخراج الجيش الاسرائيلي من المدن والقرى والمخيمات وعودة طلاب المدارس الى مقاعدهم الدراسية، الخ. وفي تقديرنا، ان وراء مثل هذا «التسارع»، والتداخل، جملة أسباب موضوعية منها: سقوط عناصر الخوف التي